ظاهرة التخفيف والتشديد في القراءات المتواترة وأثرها في المعنى

إبراهيم أحمد عبدالجليل – جامعة مصراتة – ليبيا
i.abduljaleel@art.misuratau.edu.ly

مُلَّخصُ:
التشديد والتخفيف ظاهرتان شائعتان في اللهجات العربية شيوعا بارزا، والتشديد سمة من سمات القبائل البدوية شرق الجزيرة ووسطها، وذلك لما في طبعها من جفاء وغلظة، وأما أهل المدن فكانوا يميلون إلى الليونة في كلامهم انسجاما مع بيئتهم.
والقراءات القرآنية ميدان رحب لتلك اللهجات المختلفة، ومعين لا ينضُب للدراسات اللغوية، صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، وقد نال القرآن الكريم وقراءاته اهتمام العلماء والدارسين ونايتهم قديماً وحديثاً، فقاموا بتوجيهه كل حسب توجهه ومنزعه، فالفقيه اتخذها وسيلة في استنباط الأحكام والترجيح بين الأقوال، وكانت للغوي مجالا للاستشهاد على قاعدته أو حجة لمذهبه، و بنى عليها المفسر آراءه التفسيرية تبعا لهذا التنوع في القراءات، ويأتي هذا العمل العلمي ليسلط الضوء على قضية التشديد والتخفيف في القراءات القرآنية ومدى تأثيرها على المعاني في الآية الكريمة الواحدة، إذ كل قراءة بمثابة آية، وللتشديد وظيفة معنوية، فالزيادة في المبنى قد تصحبها زيادة في المعنى، ما لم تكن الزيادة لغرض لفظي، فمن الوظائف المعنوية التي يؤديها التشديد التعدية، والتكثير، والمبالغة، والتوكيد، والمداومة، والتكرير، وقد أشار سيبويه إلى جانب من ذلك في كتابه.
وبالجملة فإني أردت أن ينصب جهدي على ظاهرة التخفيف والتشديد في القراءات القرآنية المتواترة، وما تحمله من اختلافات دلالية وصوتية في الآية الكريمة وأن لهذه الظاهرة دورا مركزيا في فهم الآية وتفسيرها.

الكلمات المفتاحية: التخفيف، التشديد، القرآن، الدلالة، الصوت، التفسير، القراءة.

مقدمة:

علم القراءات القرآنية يقوم على دراسة الأوجه المختلفة لقراءة الكلمات القرآنية، فالقراءة إذا لفظ يشكل قالبا لمعنى مكمل أو مؤكد أو موضح للقراءة

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

الأخرى، ثم إن كل وجه قراءة وضع في الآية ليحدث من خلال موضعه أثرا، يبرز من خلال تدبر لغة اللفظة ومعناها وتركيبها ونظمها وسياقها، إذ لا تنفك القراءة عن الآية، ولا تنفك الآية عن النظم، ولا ينفك النظم عن السياق، ومما لا شك فيه أن تعدد أوجه القراءة يشكل تنوعا في المعاني التي تثمر في البناء والتربية، من هنا كانت أهمية دراسة أوجه الاختلاف من حيث، تحليل كل وجه في موقعه، وجمع المعاني المستفادة من تعدد الأوجه، تخفيفا وتشديدا، ولا شك أن هناك أثرا مترتبا على الجمع بين معاني القراءات المختلفة فيها؛ لتشكل معا منظومة متكاملة بقراءاتها المختلفة، إذ كل قراءة بمثابة آية.

وإن هذه الدراسة ستعنى بحول الله تعالى وقوته بدراسة ظاهرة تفشت في القراءات القرآنية المتواترة، وشكلت ظاهرة من الظواهر البارزة فيها، وهي قراءة الكلمة القرآنية بالتخفيف تارة، ثم العدول عنه إلى التشديد في قراءة متواترة أخرى بغرض الدلالة على تكثير المعنى أو المبالغة فيه، وكيف أثرى اختلاف القراءات وتوجيهها والجمع بينها كيف أثرى المعاني الواقعية والتربويات القرآنية وكونه كتاب هداية وإرشاد إلى قيام الساعة، وركزت الدراسة على نماذج مختارة لتكون ميدانا للبحث في ظاهرة التخفيف والتشديد، وتمثلت هذه الدراسة في الآتي:
مقدمة، ومبحثين وخاتمة فيها أهم النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: ظهرة التشديد والتخفيف وأثرها في المعنى في قسم الأسماء

في هذا المبحث والذي يليه سنرى التقارض اللفظي بين التخفيف والتشديد في عدد من نماذج مختارة من الآيات الكريمة في قسمي الأسماء والأفعال، وأن العلة الغالبة في هذا التقارض هي إفادة الحدث في المخفف، وإفادة التكثير والمبالغة في المشدد، وقد ذكر بعضهم أن المخفف والمشدد قد يأتيان بمعنى واحد إلا أنه قليل[1].

1- قوله تعالى: {قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ }[المائدة: 115]. اخْتَلَفُ القراء فِي: "مُنَزِّلُهَا" فَقَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ بِالتَّشْدِيدِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ[2].
الحجة لمن شدد أنه أخذه من نَزَّل فَهُوَ مُنزِّل اسم فاعل، وَالْحجّة لمن خفف أنه أخذه من أنزل فَهُوَ مُنزِل اسم فاعل كذلك، ومنه قَوْله تعالى قبلهَا {رَبنَا أنزل علينا مائدة من السَّمَاء}[3].
فقيل هما بمعنى، حيث قال ابن عطية "والقراءتان متجهتان نزل وأنزل بمعنى واحد"[4]
وقيل التشديد هنا يفيد المبالغة في تأكيد الوصف، أو التكثير لما أنها أنزلت مرات متعددة.

(1) المغني في تصريف الأفعال لمؤلفه الشيخ عضيمة. ص 117
(2) السابق (2 / 256)
(3) الحجة في القراءات السبع (ص: 135) وحجة القراءات (ص: 242)
(4) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 261)

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

وذكر ابن جني في تعليله لتشديد (العين) في فعل، وتفعل أن (العين أقوى من الفاء واللام لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما فصارا كأنهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها. فنجد الإعلال بالحذف فيهما دونها فتكرارها دليل على تكرير الفعل[5].

2- قولـه تعـالى: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَـا لَغْـوًا وَلَا كِـذَّابًا}[النبـأ: 35] (وَلَا كـذابا) قرأها الكسائي بتَخْفِيف الذَّال، وَالْبَاقُونَ بتشديدها[6].

الحجة لمن شدد أنه أراد الْمصدر من قَوْله وكذبوا وَهُوَ على وَجْهَيْن تَكْذِيبًا وكذابا... وَالْحجّة لمن خفف أنه أراد الْمصدر من قَوْلهم كاذبته مكاذبة وكذابا كَمَا قَالُوا قَاتلته مقاتلة وقتالا[7].

فقراءة التخفيف أفادت أن أهل الجنـة لا يسمعون فيها الكذب أصـلا، فلا كذب ولا تكذيب بخلاف ما يقع في الدنيا. وقراءة التشديد أشارت إلى الآية التي قبلها وهي قولـه تعـالى: {وَكَـذَّبُوا بِآيَاتِنَـا كِـذَّابًا }[النبـأ: 28] والمعنـى أن هـؤلاء السـعداء لا يسمعون كلامهم المشوش الباطل الفاسد، والحاصل أن النعم الواصلة إليهم تكون خالية عن زحمة أعدائهم وعن سماع كلامهم الفاسد وأقوالهم الكاذبة الباطلة[8].

وهكذا فكل قراءة لها دلالة واعتبار فقراءة الكسائي بالتخفيف أفادت انتفاء الكذب بانتفاء أصله، وقراءة الباقين بالتشديد أفادت نفي الكذب العظيم، فانتفى بذلك الكذب والتكذيب في الجنة بانتفاء حقيره وعظيمه.

3- قولـه تعـالى: {وَجَـاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِـنَ الْأَعْـرَابِ لِيُـؤْذَنَ لَهُـمْ} [التوبـة: 90] قرأ يَعْقُوب (المعذرون) بإسكان الْعين وَتَخْفِيف الذَّال، وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْح وَالتَّشْدِيد[9].

قراءة التخفيف من أعذر يعذر فهو معذر اسم فاعل كأكرم يكرم، وقراءة التخفيف إما من فعَّل مضعفا بمعنى التكلف، أو من افتعل والأصل اعتذر فأدغمت التاء في الذال فهو اسم فاعل من اعتذر أو عذَّر المضعف[10].

وأفادت قراءة يعقوب بالتخفيف أن هؤلاء المعذرين لهم عذر مقبول والمعنى أن عذرهم قبله المصطفى صلى الله عليه وسلم لصدقهم[11] بدليل ما بعدها وهو قوله تعالى {وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ}[التوبة: 90].

وأفادت قراءة التشديد أن هؤلاء المعذرين لم يكن لهم عذر مقبول؛ لأن المعذر هو الذي يعتذر بغير عذر، وابن عباس رضي الله عنه يقول: لعن الله المعذرين، ذهب

(5) الخصائص 155/2
(6) تحبير التيسير في القراءات العشر (ص: 603)
(7) الحجة في القراءات السبع (ص: 362)
(8) التفسير الكبير. 20/31
(9) تحبير التيسير في القراءات العشر (ص: 392)
(10) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: 306)
(11) معاني القرآن للزجاج 464/2

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

إلى من يعتذر بغير عذر، وَالْمُعْذِرُ: الَّذِي قَدْ بَلَغَ أَقْصَى الْعُذْرِ. وَالْمُعْتَذِرُ قَدْ يَكُونُ فِي مَعْنَى الْمُعْذِرِ، وَقَدْ يَكُونُ لا عُذْرَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الَّذِي لا عُذْرَ لَهُ: "يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ" ثم قال: "لا تعتذروا" لا عُذْرَ لَكُمْ.[12]

فانظر إلى تأثير التشديد وما آلت إليه الكلمة من الدلالة بسببه، فالمعنى العام للآية وإن كان يصب في معنى الاعتذار إلا أنه اختلف بين الاعتذار المقدم بحجة بينة على قراءة التخفيف، والاعتذار المقدم بدون حجة أو عذر على قراءة التشديد.

4- قوله تعالى: {قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ}[الكهف: 74] اخْتَلَف القراء فِي: "زَكِيَّةً" فَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ، وَابْنُ عَامِرٍ وَرَوْحٌ بِغَيْرِ أَلِفٍ بَعْدَ الزَّايِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْأَلِفِ وَتَخْفِيفِ الْيَاءِ[13].

قراءة التشديد تختلف عن قراءة التخفيف فقد قال أبو عمرو: "الزاكية الَّتِي لم تذنب قطّ والزكية الَّتِي أذنبت ثمَّ غفر لَهَا وَإِنَّمَا قتل الْخضر صَغِيرا لم يبلغ الْحِنْث" وَقيل هما لُغَتَانِ بِمَعْنى كَقَوْلِه قاسية وقسية.[14]

5- قوله تعالى: {يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا}[البلد: 6] قَرَأَ أَبُو جَعْفَر: (لبدا) بتَشْديد الْبَاء، وَالْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ[15].

قراءة أبي جعفر بالتشديد جمع لا بد، مِثْلُ رَاكِعٍ وَرُكَّعٍ، وَسَاجِدٍ وَسُجَّدٍ، وَشَاهِدٍ وَشُهَّدٍ، وَنَحْوِهِ، وهذا يتناسب مع سبب نزول هذه الآية فيما رواه مقاتل أنها نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل، أذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره بالكفارة فقال: لقد أَهْلَكْتُ مالًا في الكفارات والنفقات مذ تبعت محمدا[16].

6- قوله تعالى: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}[الفلق: 4] اخْتُلِفَ عَنْ رُوَيْسٍ في روايته عن شيخه يعقوب الحضرمي فِي "النَّفَّاثَاتِ" فَرَوَى عنه "النَّافِثَاتِ" بِأَلِفٍ بَعْدَ النُّونِ وَكَسْرِ الْفَاءِ مُخَفَّفَةً مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ بَعْدَهَا، والباقون بتشديد الفاء وألف بعدها "النفاثات". فَالنَّفَّاثَاتُ فِي الْعُقَدِ بِالتَّشْدِيدِ في قراءة الجماعة بصيغة المبالغة جمعا هن السَّوَاحِرُ عَلَى مُرَادِ تَكْرَارِ الْفِعْلِ وَالِاحْتِرَافِ بِهِ، وَالنَّفَّاثَاتُ تَكُونُ لِلدَّفْعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْفِعْلِ وَلِتَكْرَارِهِ أَيْضًا[17]. وأما رواية رويس عن يعقوب بالتخفيف وبصيغة اسم الفاعل، فإنه يكون للمرة الواحدة من الفعل ولا يمنع من أن يدل على التكرار كذلك.

(12) معاني القرآن للفراء (448/1)
(13) النشر في القراءات العشر (2/ 313)
(14) الحجة في القراءات السبع (ص: 228) وحجة القراءات (ص: 424)
(15) تحبير التيسير في القراءات العشر (ص: 613)
(16) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (755/4) وتفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (484/5)
(17) النشر في القراءات العشر (404/2) والتذكرة ص 777 والبحر المحيط 531/8 والكشاف 301/4

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

7- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}[الحج: 51]
اخْتَلَف القراء فِي: "مُعَاجِزِينَ" فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِتَشْدِيدِ الْجِيمِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ وَالْأَلِفِ[18].
التشديد هي اسم فاعل من عجَّزه معدى عجز أي: قاصدين التعجيز بالإبطال، ويثبطون النَّاس عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَعَن أَتبَاع الْحق.
والتخفيف اسم فاعل من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سابقه فسبقه؛ لأن كلا من الفريقين يطلب إبطال حجج خصمه، وَقَالَ الْفراء {معاجزين}أَي معاندين ولا يبعد أن تكون بمعنى ظانين أَنهم يعجزوننا لأَنهم ظنُّوا أَنهم لَا يبعثون وَأَنه لَا جنَّة وَلَا نَار، والتثبيط والتعجيز خَاص لِأَنَّهُ فِي نوع وَاحِد وَهُوَ الإبطاء عَن الرَّسُول عَلَيْهِ السَّلَام والعناد عَام لِأَنَّهُ يدْخل فِيهِ الْكفْر والمشاقة[19].
8- قوله تعالى: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا}[التوبة: 57]
اختلف القراء العشرة في "مدخلا" فيعقوب بفتح الميم وإسكان الدال مخففة، والباقون بالضم والتشديد[20]. قراءة التشديد أصلها مدتخل، من الفعل (ادَّخل) على زنة افتعل، ولكن التاء والدال من مخرج واحد تقريبا، فأدغمت الدال في التاء حتى يصير الكلام خفيفا، وأما قراءة التخفيف فمن الفعل الثلاثي دخل يدخل مدخلا، والكلمة في القراءتين اسم مكان[21].
9- قوله تعالى:{لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ}[النحل: 62]
اخْتَلَف القراء فِي (مُفْرَطُونَ) فَقَرَأَ نافع و أبوجعفر بِكَسْرِ الرَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا وَشَدَّدَهَا أَبُو جَعْفَرٍ وَخَفَّفَهَا الْبَاقُونَ[22].
10- قوله تعالى{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى }[النجم: 19]
اخْتَلَف القراء فِي: اللَّاتَ، فَرَوَى رُوَيْسٌ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ وَبِمَدٍّ لِلسَّاكِنَيْنِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهَا[23]. أما قراءة التشديد فهي اسم فاعل من الفعل لتَّ، وهو اسم صنم سمي بذلك؛ لأن رجلا كان يلت السويق بالسمن ، ويطعم الطعام للحجاج على حجر، فلما مات الرجل عبدوا ذلك الحجر إجلالا للرجل وسموه باسمه. وأما قراءة التخفيف التي قرأ بها أغلب القراء، فاللات اسم صنم، والتاء فيه أصلية لام الكلمة، وألفه منقلبة عن ياء، وقيل التاء للتأنيث ووزنه فعلة محذوف اللام من لوى؛ لأنهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة حولها[24]. وبذلك تنوعت المعاني بتنوع القراءات.

(18) السابق 327/2
(19) الحجة في القراءات السبع (ص: 254) و حجة القراءات (ص: 481)
(20) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: 304)
(21) معاني القرآن وإعرابه للزجاج455/2
(22) النشر في القراءات العشر (2/ 304)
(23) نفسه 379/2
(24) الكشاف.30/4، والبحر المحيط 160/8

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

المبحث الثاني: ظاهرة التشديد والتخفيف وأثرها في المعنى في قسم الأفعال

1- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} [الأعراف: 40] اخْتَلَف القراء العشرة في: "لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ" فَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِالتَّأْنِيثِ وَالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ بِالتَّذْكِيرِ وَالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّأْنِيثِ وَالتَّشْدِيدِ[25].

فَأَما التَّشْدِيد فَإِنَّهُ من التفتيح مرّة بعد مرّة أُخْرَى ومنه قَوْله {مفتحة لَهُم الْأَبْوَاب} وَلم يقل مَفْتُوحَة وَقَالَ {وغلقت الْأَبْوَاب}، وَمن خفف دلّ على الْمرة الْوَاحِدَة[26].

2- قوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ}[الأنعام: 100] اختلف القراء في "وخرقوا" فنافع وأبو جعفر بتشديد الراء للتكثير، والباقون بالتخفيف بمعنى الاختلاق[27].

قراءة التشديد للتكثير؛ لأن المشركين ادعوا الملائكة بنات الله، واليهود ادعت عزيرا ابن الله، والنصارى ادعت المسيح ابن الله، وهذا كله كذب وافتراء فكثر ذلك من كفرهم، فشدد الفعل لمطابقة المعنى، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. وقراءة التخفيف على الأصل ولأن الفعل يدل على القليل والكثير.

3- قوله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا}[الحج: 40] اخْتَلَف القراء العشرة فِي: "لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ" فَقَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ كَثِيرٍ بِتَخْفِيفِ الدَّالِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَشْدِيدِهَا[28].

الحجة لمن شدد أنه أَرَادَ تَكْرِير الْفِعْل وَالْحجّة لمن خفف أَنه أَرَادَ الْمرة الْوَاحِدَة من الْفِعْل وهما لُغَتَانِ فاشيتان[29]. فقراءة التشديد تدل على التكثير، وذلك لأنَّ المواضعَ كثيرةٌ متعددةٌ من الصوامع والبيع والصلوات والمساجد، وقراءة التخفيف تقع على الكثير والقليل[30].

4- قوله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}[المائدة: 89] اخْتَلَف القراء فِي: "عَقَّدْتُمُ" فَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وَأَبُو بَكْرٍ (عَقَدْتُمُ) بِالْقَصْرِ وَالتَّخْفِيفِ، وَرَوَاهُ ابْنُ ذَكْوَانَ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ بِالْأَلِفِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ[31].

---

(25) النشر في القراءات العشر (269/2)
(26) حجة القراءات (ص: 282)
(27) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: 270)
(28) النشر في القراءات العشر (327/2)
(29) الحجة في القراءات السبع (ص: 254)
(30) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (284/8)
(31) النشر في القراءات العشر (255/2)

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

لكل قراءة دلالة واعتبار فقراءة التشديد أفادت تكثير الفعل على معنى عقد بعد عقد، أو أن يكون أراد تكثير العاقدين للإيمان بدليل قوله "ولكن يؤاخذكم" فخاطب جماعة، فالتشديد دل على التكثير، وأما التخفيف فقد أراد به عقد مرة واحدة؛ لأن من حلف مرة واحدة لزمه البر أو الكفارة، وإذا لزمت الكفارة في اليمين الواحدة كانت الأيمان المكررة ألزم وآكد[32]. واختار الطبري وجه التخفيف فقال: "وأولى القراءتين بالصواب في ذلك، قراءةُ من قرأ بتخفيف "القاف". وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل "فعَّلت" في الكلام، إلا فيما يكون فيه تردُّدٌ مرة بعد مرةٍ، مثل قولهم: "شدَّدت على فلان في كذا"، إذا كُرِّر عليه الشدّة مرة بعد أخرى، فإذا أرادوا الخبر عن فعلٍ مرّة واحدةٍ قيل: "شَدَدت عليه"، بالتخفيف، وقد أجمع الجميع لا خِلافَ بينهم: أن اليمين التي تجب بالحِنْث فيها الكفارة، تلزم بالحنث في حلف مرة واحدة، وإن لم يكرّرها الحالف مرات. وكان معلومًا بذلك أنّ الله مؤاخذٌ الحالفَ العاقدَ قلبَه على حلفه، وإن لم يكرِّره ولم يردِّدْه، وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن لتشديد "القاف" من "عقّدتم"، وجه مفهومٌ"[33].

5- قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ}[البقرة: 222] اخْتَلَف القراء فِي "حَتَّى يَطْهُرْنَ" فَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ، وَأَبُو بَكْرٍ بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ وَالْهَاءِ، وَالْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهِمَا[34].

الحجة لمن شدد أَنه طابق بَين اللَّفْظَيْنِ لقَوْله "فاذا تطهرن" وهو مضارع تطهر أي اغتسل، والأصل يتطهرن، وَالْحجّة لمن خفف أَنه أَرَادَ حَتَّى يَنْقَطِع الدَّم، فهو مضارع طهرت المرأة شفيت من الحيض واغتسلت[35]. فالحجة لمن شدد أَنه طابق بَين اللَّفْظَيْنِ لقَوْله فاذا تطهرن وَالْحجّة لمن خفف أَنه أَرَادَ حَتَّى يَنْقَطِع الدَّم.

فقراءة التشديد أفادت بضرورة أن يغتسلن بِالْمَاءِ بعد انْقِطَاع الدَّم وَذَلِكَ أَن الله أَمر عباده باعتزالهن فِي حَال الْحيض إِلَى أَن يتطهرن بِالْمَاءِ، وَحجَّة أُخْرَى وَهِي قَوْله {فَإِذا تطهرن} قَالُوا وَهِي على وزن تفعلن فَيجب أَن يكون لَهَا فعل وفعلها إِنَّمَا هو الاغتسال لِأَن انْقِطَاع الدَّم لَيْسَ من فعلهَا. وقراءة التخفيف أفادت معنى حَتَّى يَنْقَطِع الدَّم عَنْهُن {فَإِذا تطهرن} أَي بِالْمَاءِ قَالُوا إِن الله أَمر عباده باعتزال النِّسَاء فِي الْمَحِيض إِلَى حِين انْقِطَاع دم الْحيض. قَالَ الزّجاج يُقَال طهرت المرأة وطهرت إِذا انْقَطع الدَّم عَنْهَا[36].

(32) الكشف.416/1
(33) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (524/10)
(34) النشر في القراءات العشر (227/2)
(35) الحجة في القراءات السبع (ص: 96) وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: 203)
(36) حجة القراءات (ص: 135)

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

6- قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}[البقرة: 10] قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ: (يكذبُون) بِفَتْح الْيَاء مخففا وَالْبَاقُونَ بضَمهَا مشددا[37].
بِالتَّشْدِيدِ من كذب يكذب تَكْذِيبًا أَي إِنَّهُم يكذبُون النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَالْقُرْآن وحجتهم مَا رُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس قَالَ إِنَّمَا عوتبوا على التَّكْذِيب لَا على الْكَذِب.
وَحجَّة التَّخْفِيف أَن ذَلِك أشبه مَا قبل الْكَلِمَة وَمَا بعْدهَا فَالَّذِي قبلهَا مِمَّا يدل على الْكَذِب {وَمن النَّاس من يَقُول آمنا بِاللَّه وباليوم الآخر} وَقَالَ الله {وَلَهُم عَذَاب أَلِيم بِمَا كَانُوا يكذبُون} وَمَا بعْدهَا قَوْله {وَإِذا لقوا الَّذين آمنُوا قَالُوا آمنا وَإِذا خلوا إِلَى شياطينهم قَالُوا إِنَّا مَعكُمْ} فَقَوله {وَإِذا خلوا إِلَى شياطينهم} دلَالَة على كذبهمْ فِيمَا ادعوهُ من إِيمَانهم وَإِذا كَانَ أشبه بِمَا قبله وَمَا بعده فَهُوَ أولى[38]. وَمعنى الْقِرَاءَتَيْن قريب؛ لِأَن من كذَّب بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وسلم فقد كذب.
7- قوله تعالى: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا}[النور: 1] اخْتَلَف القراء العشرة فِي: "وَفَرَضْنَاهَا" فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو عَمْرٍو بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهَا[39]. فقراءة التشديد أشارت إلى كثرة ما في هذه السورة من الأحكام المفروضة مثل: حد الزنا، والقذف، وحكم اللعان، والاستئذان، وغض البصر وغير ذلك. وفي الكلام حذف تقديره: وفرضنا فرائضها، ثم حذفت الفرائض وقام المضاف إليه مقامها فاتصل الضمير بفرضنا، وَحسن ذَلِك لإضافة الْفَرَائِض إِلَى السُّورَة وَهِي لله سُبْحَانَهُ لِأَنَّهَا مفهومة عَنْهَا، وقيل معنى التشديد على معنى فرضناها عليكم وعلى من بعدكم، فشدد لكثرة المفروض عليهم؛ لأنه فعل يتكرر على كل من حدث من الخلق إلى يوم القيامة[40]. وَحجَّة التَّخْفِيف قَوْله {قد علمنَا مَا فَرضنَا عَلَيْهِم فِي أَزوَاجهم} ولأن التخفيف يقع على الكثير والقليل، قال الزجاج: "من قَرَأَ بِالتَّخْفِيفِ فَمَعْنَاه ألزمناكم الْعَمَل بِمَا فرض فِيهَا"[41].
8- قوله تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا }[آل عمران: 37] قرأ الْكُوفِيُّونَ: (وكفلها) بتَشْدِيد الْفَاء وَالْبَاقُونَ بتخفيفها[42]. من شدد عدى بِالتَّشْدِيدِ الْفِعْل إلى مفعولين إِحْدَاهمَا الْهَاء والألف المتصلتان بِالْفِعْلِ والمراد بها مريم وهي المفعول الثاني، وزَكَرِيَّاء مفعوله الأول أي: جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها والفاعل هو الله تعالى، وقراءة التخفيف جعلت الْفِعْل لزَكَرِيَّاء فرفع بِالْحَدِيثِ عَنهُ لأن الله تعالى لما كفلها إياه كفلها[43].

(37) تحبير التيسير في القراءات العشر (ص: 282)
(38) حجة القراءات (ص: 89)
(39) السابق (2/ 330)
(40) حجة القراءات (ص: 494) والوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة. 682
(41) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (27/4)
(42) تحبير التيسير في القراءات العشر (ص: 321)
(43) الحجة في القراءات السبع (ص: 108) ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (403/1) وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص: 222)

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

9- قوله تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ}[البقرة: 185] اخْتَلَف القراء العشرة فِي: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) فَقَرَأَ يَعْقُوبُ وَأَبُو بَكْرٍ بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ[44].

قراءة التشديد أفادت تَكْرِير فعل الصّيام فِي الشَّهْر إلى إتمام عدته، وقراءة التخفيف جعلت عقد شهر رَمَضَان عقدا وَاحِدًا وَدَلِيله قَوْله تَعَالَى "الْيَوْم أكملت لكم دينكُمْ.

10- قوله تعالى: {وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا}[طه: 97] اخْتَلَف القراء العشرة فِي: "لَنُحَرِّقَنَّهُ" فَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِإِسْكَانِ الْحَاءِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَرَوَى ابْنُ وَرْدَانَ عَنْهُ بِفَتْحِ النُّونِ وَضَمِّ الرَّاءِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ النُّونِ وَكَسْرِ الرَّاءِ[45].

قراءة التشديد أفادت شدة الإحراق للعجل، وذلك بعد أن صار لحما ودما، وقراءة التخفيف أفادت مطلق الإحراق دون النص على المبالغة في الإحراق، وأما قراءة ابْن وَرْدَانَ عَن شيخه أبي جعفر بِفَتْحِ النُّونِ وَضَمِّ الرَّاءِ فتعني برده بالمبرد، وهذه تدل على أن العجل لم ينقلب لحما ودما؛ لأن ذلك لا يصح أن يبرد بالمبرد، وليس ببعيد أن يقال: إنه صار لحما ودما فذبح، ثم بردت عظامه بالمبرد ثم نسفت[46].

الخاتمة

بتوفيق من الله سبحانه، استطعت أن أعالج في هذا العمل العلمي قضية مهمة تتعلق بكتاب الله وقراءاته المتواترة، وهي ظاهرة التخفيف والتشديد في القراءات المتواترة وأثرها في المعنى، واتضح لي أن لهذه الاختلافات دلالة في المعنى، ولها دور مركزي في فهم الآية الكريمة وتفسيرها، ويمكنني إجمال النتائج في الآتي:

- تبين أنّ في التشديد زيادة في المعنى لا تحملها الصيغ المخففة، وهذه الزيادة لمْ تأتِ جزافاً وإنما جاءت لتؤدّي وظائف معنوية لطيفة.
- ظاهرة الاستخفاف والاستثقال من الظاهر البارزة في القراءات القرآنية المتواترة، فلا تكاد تخلو سورة من هذه الظاهرة.
- اتضح من خلال النماذج التي تمت دراستها أنه متى قويت الألفاظ قويت المعاني فضلا عما يدل عليه المشدد من المبالغة والتكثير.
- ليس بالضرورة أن التضعيف يعني دائما الكثرة والمبالغة في دلالة الكلمة.

(44) النشر في القراءات العشر (226/2)
(45) السابق
(46) التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة. ص 272

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: 1117هـ)، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة 3، 2006م - 1427هـ
- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: 1420هـ
- تحبير التيسير في القراءات العشر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، المحقق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، الناشر: دار الفرقان، عمان، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م
- التوجيهات والآثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة. تأليف: علي محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الترجمة
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة
- حجة القراءات. المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي 403هـ).محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني. دار الرسالة
- الحجة في القراءات السبع. المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه ، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ).المحقق: عبد العال سالم مكرم. دار الشروق، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401هـ
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، المحقق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة 1، 1420هـ - 2000م

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

- الكتاب لسيبويه. عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة: الثالثة، 1408هـ - 1988م
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407هـ
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تأليف أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 1، 1422هـ
- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة 1، 1408هـ - 1988م
- معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة 1
- المغني في تصريف الأفعال، تأليف الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة. دار الحديث، القاهرة.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420هـ
- النشر في القراءات العشر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى: 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى
- الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، تأليف: محمد أحمد الجمل، دار الفرقان للنشر والتوزيع، العبدلي، عمان، ط: 1، 1430هـ - 2009م

تاريخ الاستلام: 2021/06/04 تاريخ النشر: 2021/12/01